

قُرْآنُهُ وَتَعْلِيْقُهُ

عَلَيْهِ

كِتَابُ لَفْتِنَةِ الْكُفْرِ

إِلَى تَصْيِحَةِ الْوَلَدِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ / مُطْلَقُ الْجَائِسِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على  
المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمداً، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم  
بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وارفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً واغفر لنا يا  
رب العالمين.

أمَّا بعد ...

فنسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يبارك في جمعنا هذا، وأن يجعل اجتماعنا  
هذا اجتماعاً مرحوماً، وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، وألا يجعل فينا ولا منّا  
شقيّاً ولا محروماً.

أمَّا بعد ...

فهذا المجلس المبارك إن شاء الله في بيتٍ من بيوت الله نتلو شيئاً من كلام  
الله تعالى وكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ رجاء الدخول في قول النبي -  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما جلس قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ،  
ويتدارسونَهُ فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفتهم  
الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده».

وهذا التدارس سيكون -بمشيئة الله تعالى- من خلال قراءة هذه الرسالة الصغيرة في حجمها؛ الكبيرة في معانيها، وهي رسالة لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، وهي رسالة كتبها الإمام/ أبو الفرج بن الجوزي -رَحِمَهُ اللهُ- إلى ولده، فهي رسالة نصيحة من عالم ووالد لولده ينصحهُ فيها بجملة من النصائح، وقد محضهُ النُصح في هذه الرسالة؛ فحريٌّ أن تُتدارس وأن يُلتفت إلى معانيها، وقد اشتملت على معانٍ عظيمة بألفاظٍ موجزةٍ يسيرة.

فبمشيئة الله تعالى في هذا المجلس المبارك سنقرأ هذه الرسالة مع بعض التعليقات اليسيرة، ثم بعد ذلك إذا الله يَسِّر وكان هناك وقت يُفتَح المجال لمن أراد السؤال أو الإضافة في مجلسٍ مفتوح بعد هذه الرسالة إن شاء الله.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
 نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أمّا بعد ...

غفر الله لنا ولشيخنا وللحاضرين.

يقول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من ترابٍ، وأخرج ذريته من الترابِ  
 والأصلابِ، وعَضَدَ العشائرَ بالقرايةِ والأنسابِ، وأنعمَ عليَّ بالعلمِ وعِرْفانِ  
 الصوابِ، وأحسنَ تربيتي في الصَّبِيِّ وحفظني في الشبابِ ورزقني ذريةً أرجو  
 بوجودهم وفورَ الثوابِ.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ  
 لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١].



المصنف -رَحِمَهُ اللهُ- في المقدمة أتى بما يسميه البلاغيون براعة  
 الاستهلال، أي: أن يُضمّن في تقديمه أو مقدمته ما يدلُّ على موضوع الكتاب أو  
 موضوع الرسالة، فلما أشار إلى الأب الأكبر، ويقصد به آدم عليه السلام، وأشار  
 إلى ذريته؛ فهو يشير إلى موضوع هذه الرسالة وهي النصيحة الولدية، أو العلاقة  
 بين الأب وأولاده أو ذريته.

أمّا بعدُ ...

فإني لما عرفتُ شرفَ النكاحِ وطلبِ الأولادِ ختمتُ ختمَةً وسألتُ اللهَ تعالى أن يرزقني عشرةَ أولادٍ فرزقنيهم فكانوا خمسةَ ذكورٍ وخمسَ إناثٍ فماتَ من الإناثِ اثنتانِ ومن الذكورِ أربعةٌ فلم يبقَ من الذكورِ سوى ولدي أبي القاسمِ فسألتُ اللهَ تعالى أن يجعلَ فيه الخلفَ الصالحَ وأن يُبلِّغَ به المُنَى والمناجِحَ.



في قوله -رحمهُ اللهُ-: (ختمتُ ختمَةً وسألتُ اللهَ تعالى أن يرزقني عشرةَ أولادٍ)، هذا يشير إلى أحدِ مظانِ إجابة الدعاء، الدعاء له مظان للإجابة، أي: مواضع وأحوال وأقوال وأوقات إذا دعا الإنسان فيها كان أخرى بالإجابة من غيرها:

✽ من هذه المظان: الدعاء بعد ختم القرآن، إذا ختم الإنسان القرآن إثر ختمته، سواء كانت هذه الختمة غيباً أو قراءةً من المصحف، فإنه يُستحب له أن يرفع يديه ويدعو، وهذا قد ثبت عن عددٍ من الصحابة -رضي اللهُ عنهم-:

✽ منهم: أنس بن مالك -رضي اللهُ عنه-.

فأنس -رضي اللهُ عنه- كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده وبنيه وأهل بيته، فدعا وأمّنوا على دعائه، رواه أبو داود بسندٍ صحيح.

ومن هنا قال العلماء: أنّ الإنسان إذا ختم القرآن يُستحب له أن يدعو، ولا يوجد دعاء خاص، ولكن يدعو بما يُيسر الله -عَزَّ وَجَلَّ- له.

ثم رأيتُ منه نوعَ تَوَانٍ عَنِ الْجِدِّ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ فَكَتَبْتُ لَهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَحْتَهُ  
 بِهَا وَأَحْرَكُهُ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِي فِي كَسْبِ الْعِلْمِ وَأَدُلُّهُ عَلَى الْاِلْتِجَاءِ إِلَى الْمَوْفِقِ  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ عِلْمِي بِأَنَّهُ لَا خَاذِلَ لِمَنْ وَفَّقَ، وَلَا مُرْشِدَ لِمَنْ أَضَلَّ، لَكِنْ قَدْ  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وَقَالَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ  
 نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.



فَبَيَّنَ هُنَا أَنَّ الرِّسَالَةَ فِي الْأَصْلِ مَوْجَهَةٌ إِلَى وَلَدِهِ، وَلَكِنَّ النِّصَائِحَ الَّتِي ضَمَّنَهَا  
 فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ تَصْلُحُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؛ صِغَارًا وَكِبَارًا، وَقَدْ يُؤَلِّفُ الْعَالَمُ كِتَابًا  
 قَاصِدًا بِهِ وَلَدَهُ فَيَنْتَفِعُ بِهِ الْأُمَّةُ، وَأَشْهَرُ مَثَالًا عَلَى ذَلِكَ: كِتَابُ [بَلُوغُ الْمَرَامِ]،  
 لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، فَإِنَّهُ أَلْفَهُ لَوْلَدِهِ عَلِيٍّ، وَلَكِنْ لَمْ يَحْفَظْهُ  
 عَلِيٌّ، فَحَفَظَهُ الْمُسْلِمُونَ مَا عَدَا عَلِيًّا، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَقَدْ يُؤَلِّفُ الْعَالَمُ كِتَابًا لَوْلَدِهِ فَيَنْتَفِعُ بِهِ الْأُمَّةُ.

## فصلٌ تميّزُ الآدمي بالعقل

اعلم يا بني وفقك الله.



هذه العناوين من وضع المُحقِّق ليست من كلام الشيخ.

اعلم يا بني وفقك الله للصوابِ أَنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزِ الْآدَمِيُّ بِالْعَقْلِ إِلَّا لِيَعْمَلَ  
بِمَقْتَضَاهُ، فَاسْتَحْضِرْ عَقْلَكَ وَأَعْمَلْ فِكْرَكَ وَاخْلُ بِنَفْسِكَ تَعْلَمُ بِالِدَلِيلِ أَنَّكَ  
مَخْلُوقٌ مُكَلَّفٌ، وَأَنَّ عَلَيْكَ فَرَائِضَ أَنْتَ مُطَالِبٌ بِهَا وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُحْصِيَانِ  
أَلْفَاظَكَ وَنَظْرَاتِكَ، وَأَنَّ أَنْفَاسَ الْحَيِّ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَقْدَارُ اللَّبْثِ فِي الدُّنْيَا  
قَلِيلٌ، وَالْحَبْسُ فِي الْقُبُورِ طَوِيلٌ وَالْعَذَابُ عَلَى مُوَافَقَةِ الْهَوَى  
وَبَيْلٌ فَأَيْنَ لَذَّةُ أَمْسٍ؟ رَحَلَتْ وَأَبْقَتْ نَدَمًا وَأَيْنَ شَهْوَةُ النَّفْسِ؟

كَمْ نَكَّسَتْ رَأْسًا وَأَزَلَّتْ قَدَمًا، وَمَا سَعِدَ مَنْ سَعِدَ إِلَّا بِخِلَافِ هَوَاهُ فَإِنْ  
مِنْ تَبِعَ الْهَوَى هَوَى، وَلَا شَقِيٍّ مِنْ شَقِيٍّ إِلَّا بِإِثَارِ دُنْيَاهُ، فَاعْتَبِرْ بِمَنْ  
مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالزَّهَادِ، أَيْنَ لَذَّةُ هَوْلَاءِ؟ وَأَيْنَ تَعَبُ أَوْلِيَاءِ؟ بَقِيَ الثَّوَابُ  
الْجَزِيلُ وَالذِّكْرُ الْجَمِيلُ لِلصَّالِحِينَ، وَالْقَالَةُ الْقَبِيحَةُ وَالْعِقَابُ الْوَبِيلُ لِلْعَاصِينَ،  
وَكَأَنَّهُ مَا جَاعَ مَنْ جَاعَ وَلَا شَبِعَ مَنْ شَبِعَ. وَالْكَسْلُ عَنِ الْفَضَائِلِ بِئْسَ  
الرَّفِيقُ وَحُبُّ الرَّاحَةِ يُوْرِثُ مِنَ النَّدَمِ مَا يُرْبِي عَلَى كُلِّ لَذَّةٍ، فَانْتَبِهْ وَاتَّعِبْ لِنَفْسِكَ.



هذا كلامٌ عظيمٌ وبلغ.

في قوله -رَحِمَهُ اللهُ-: (أَنْفَاسَ الْحَيِّ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ)، كل واحد فينا قد تقدَّر الله -عَزَّ وَجَلَّ- له أَجَلٌ، وأنه سيموت في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية، وأنَّ أنفاسنا التي نتنفسها كل يوم هي عبارة عن خُطَى إلى هذا الأجل، عبارة عن عد تناولي؛ كل نفس نتنفسه في اليوم هو خُطَى نخطوها إلى آجالنا، لا يخطئ الأجل منَّا أحد؛ طال أو قصر.

وقد أخفى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عنَّا هذا الأجل؛ رحمةً بنا، ولكن الذي نجزمُ به أنه آتٍ؛ كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، ومقدارُ اللبث في الدنيا قليل؛ مهما طال عمر الإنسان، مهما وصل من العمر، ومهما بلغ من السنوات، فإنَّ مُضَيَّي السنين يُنسى.

لذلك قال الشيخ: (أين لذة أمس؟)، كل واحد فينا تعرَّض في حياته لأنواع من اللذة والمُتَمِّع، وأنواعٍ من الهموم والغموم، كلها نُسيَّت، كلها، لو تحاول تتذكَّر في لذائد كثيرة نسيتها، وفي هموم وغموم وأحزان وآلام كثيرة أيضًا نسيتها، أين ذهبت؟ راحت، وبقي أثرُ تعاملك مع هذه الهموم والغموم أو مع هذه اللذة. فإنَّ صبرتَ على المصائب بقي الأجر، وإنَّ جزعت بقي الإثم، وإنَّ شكرت النعم بقي الثواب، وإنَّ كفرتها بقي الإثم، فهذا الذي يبقى الأجر أو الإثم، أمَّا ذات اللذة وذات النعيم، وذات المصيبة وذات الحزن سيُنسى كأن لم يكن.

لذلك العاقل هو مَنْ يُتَعَبُ نَفْسَهُ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ الْبَاقِي الَّذِي سَيَقِي، أَمَّا الَّذِي يَكُونُ هَمُّهُ فَقَطْ تَحْصِيلُ اللَّذَّةِ الْقَاصِرَةِ أَوَّلًا، وَالْمَوْقِفَةُ ثَانِيًا، وَالَّتِي سَتُنْسَى ثَالِثًا، فَهَذَا فِي عَقْلِهِ قِصُورٌ؛ مَهْمَا ظَنَّ أَنَّهُ ذَكِي الْأَذْكَيَاءِ، أَوْ عَاقِلُ الْعُقَلَاءِ، الْعَاقِلُ فَعَلًا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «الْكَيْسُ» أَي: الْعَاقِلُ «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ».

ثم ضرب مثل قال: أين الملوك والزهاد كم مرَّ على هذه الدنيا من ملوك عاشوا سنوات طويلة من قصرٍ إلى قصرٍ، ومن نعيمٍ إلى نعيمٍ، هل ذهب نعيمهم معهم في القبر؟ لا، هل بقيت لذة النعيم معهم؟ لا، ما الذي بقي؟ الحساب، الحساب على هذا النعيم.

كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

وَأَيْنَ الزُّهَادُ وَالْعُبَادُ وَالَّذِينَ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ لِذَائِدِ الدُّنْيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ أَيْنَ هُمْ؟ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يُؤْجِرُونَ عَلَى هَذَا الصَّبْرِ، وَقَدْ ذَهَبَتْ وَمَضَتْ تِلْكَ الْأَلَامُ وَتِلْكَ الْأَحْزَانُ، لَكِنَّ الْفَرْقَ أَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُوْرِثَهُمْ لَذَّةً مُعْجَلَةً، أَي: هَذَا الَّذِي يُؤَسِّرُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرِ سَيُشْعِرُ بِلَذَّةِ مَوْقِفَتِهِ.

أَمَّا الْعَابِدُ يَظُنُّ النَّاسَ أَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِلَذَّةٍ، وَأَنَّهُ مُحْرَمٌ، لَكِنَّ اللَّهَ يَكْرِمُهُ بِلَذَّةٍ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ لَذَّةِ الْآخِرَةِ، نَسَأَلَ اللَّهُ أَلَا يَحْرِمُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم، فمتى تعدى الإنسان فالنار النار. ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ثم الفضائل تتفاوت، فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا، ومنهم من يراها التشاغل بالتعبّد، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل، فإذا حصل رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحركاه إلى محبته وخشيته قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . والشوق إليه، فتلك الغاية المقصودة وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. وليس كل مُريد مُرادًا ولا كل طالب واجدًا ولكن على العبد الاجتهاد وكل ميسر لما خلق له والله المستعان.



مجمع الفضائل - مثلما ذكر الشيخ - هو: العلم والعمل، العلم وحده دون عمل لا يفيد صاحبه، بل قد يكون حجة عليه يوم القيامة، والعمل دون علم وبال على صاحبه، فلا ينبل الإنسان ولا يكمل ولا ترتفع منزلته عند الله إلا بالجمع بين العلم والعمل.

فالجمعُ بينهما هو شرف المؤمن؛ أن يعلم، ثم يعمل بهذا العلم، لا يُكْدِس المعلومات فقط ويحفظ أسماء الكتب ويحفظ المعلومات، ثم إذا أتيت للعمل فلا شيء، يحفظ القرآن، أو يحفظ السُّنَّة، أو يحفظ الكتب، وهو دائماً متأخر عن الصلاة، تفوتهُ تكبيرة الإحرام، لا يصلي يحرص على الصلاة في المساجد، لا يصلي الصلاة في وقتها، ما فائدة العلم هذا؟

أو طالب للعلم وحريص عليه وسيء الخلق مع الناس؛ يسب ويشتم ويغتاب ويُنم، ويقطع رحمه، ولا يسعى بالصلح بين الناس، ولا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، ما فائدة العلم؟ فلا ينبل الإنسان ولا يكمل عند ربه -عزَّ وجلَّ- إلا بالجمع بين العلم والعمل.

### فصلٌ معرفة الله بالدليل أول ما ينبغي النظر فيه

وأوَّل ما ينبغي النظر فيه معرفةُ الله تعالى بالدليل، ومعلومٌ أن مَنْ رأى السماءَ مرفوعةً والأرضَ موضوعةً وشاهدَ الأبنيةَ المُحكَّمةَ خصوصاً في جَسَدِ نَفْسِهِ عِلْمٌ أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلصَّنْعَةِ مِنْ صَانِعٍ وَلِلْمَبْنَى مِنْ بَانٍ.



هذه المسألة مسألة أول واجب، ما الذي يجبُ على الإنسان أولاً؟ اختلف فيها العلماء كثيراً، لكن التحقيق فيها هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمتهُ اللهُ- في كتابه [درء تعارض العقل والنقل]، فقد قال كلاماً نفيساً يُحرر في هذه المسألة.

وهي: قوله -رَحِمَهُ اللهُ-: (وأول واجبٍ وأول الواجبات الشرعية يختلفُ باختلافِ أحوال الناس، فقد يجبُ على هذا ابتداءً ما لا يجبُ على هذا، فيُخاطَبُ الكافرُ عند بلوغه بالشهادتين).

فيكون أول واجب بالنسبة للكافر عند بلوغه أن ينطق الشهادتين.

(وذلك أول الواجبات الشرعية التي يؤمر بها.

وأما المسلم فيخاطَبُ بالطهارة إذا لم يكن متطهراً، وبالصلاة وغير ذلك من الواجبات الشرعية التي لم يفعلها.

وبالجملة فينبغي أن يُعلم أن ترتيب الواجبات في الشرع واحداً بعد واحد، ليس هو أمراً يستوي فيه جميع الناس، بل هم متنوعون في ذلك).

إذاً تعليقاً على قول المصنف هنا: (وأول ما ينبغي النظرُ إليه معرفة الله

بالدليل)، ممكن نقول: المسألة فيها تفصيل:

✽ فإن أول واجبٍ يختلفُ باختلافِ أحوال الناس، والأصل ان الواجبات توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، أمّا مَنْ حقق التوحيد فيأتي بعده الأمر بالصلاة والطهارات ونحو ذلك.

✽ أمّا الكافر فأول واجبٍ عليه النطقُ بالشهادتين، فإن كان عنده لبسٌ عن الإسلام ومعلومات مغلوبة عن الإسلام، فيصبح أول واجبٍ عليه إزالة هذا اللبس.

فالتحقيق في المسألة مثلما ذكره الشيخ شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- أنَّ أول

واجبٍ يختلف باختلاف الناس.

ثم يتأمل دليل صدق الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إليه، وأكبر الدلائل القرآن الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورةٍ من مثله.

فإذا ثبتَ عندهُ وجودُ الخالقِ - جَلَّ وعلا -، وصدقُ الرسولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجبَ تسليمُ عنانِهِ إلى الشرعِ، فمتى لم يفعل دَلَّ على خللٍ في اعتقاده.



هذا الكلام نفيس جداً، هنا (وجب تسليمُ عنانِهِ إلى الشرع)، هذه المسألة هي مسألة التسليم للشرية، التسليم للشرية أمرٌ زائدٌ عن الإسلام، قد يكون الإنسان مسلماً لكنه غير مُسلمٍ بالشرية؛ ولذلك قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فأمر المؤمنين ووصفهم بالإيمان، وأمرهم بالاستجابة، وأيضاً قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٦٢].

فإذا الاستجابة لله والإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - والتسليم أمر زائد عن الإسلام، قد يكون الإنسان مسلماً لكنه غير مُسلمٍ، وهذا الإنسان غير المُسلم هو ناقص الإيمان.

﴿ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وهذه آفةٌ كبرى في هذا العصر الَّذِي نعيشه، وهو آفة نقص التسليم والانقياد، أن يوجد الإنسان في هذه الحياة تحت اسم المُسْلِمِ يُسَمَّى مُسْلِمًا عنده الشهادتين، لكن ما عنده التسليم، لا يُسَلِّمُ لأمر الله، ويختار من الدين ما يشاء، ونحن هنا لا نتكلم عن الإنسان الَّذِي يُقَصِّرُ في العبادات مع اعترافه أنه مقصر، لا، نحن نتكلم عن مسلمين يعترف بإسلامه، وعنده نقص في التسليم ولا يرى أنه مُقَصِّرٌ.

★ مثلًا: كم من مسلم يتعامل بالربا كأنه شيء عادي طبيعي، ما يرى فيه غضاظة، يصلي مع المسلمين ويصوم في رمضان وأمواله في بنك الربا، وما عنده مشكلة، ويقرأ القرآن، يقرأ آيات الصيام في سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

بعدها بصفحات يقرأ آيات الربا ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ويقرأها وأمواله يتعامل فيها بالربا، لا يسأل عن الحلال والحرام، ولا يرى أنه غلطان، ما يشوف مشكلة، هذا نقص خطير.

الَّذِي لا يجعل الشريعة حكمًا له في حياته في كل شيء هذا ناقص الإيمان جزمًا؛ لأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- نفى عنه اسم الإيمان ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾.

كھ ما معنى يُحَكِّمُوكَ؟

أي: أن تجعل الشريعة وأن تجعل القرآن وأن تجعل السُّنَّة هي الحكم، هي المرجع الأساسي، فما حله أحله الله تحله، وما حرّمه تحرمه.

أمّا ألا تعباً ولا تأبى الذي يقول لك: هذا حرام يا أخي، الربا حرام، كأنك تخاطبُ حجراً أو كافرًا، الكافر ما عنده حلال وحرام، هذا مسلم فأنا أستغرب من هذا الأمر عند مَنْ يصلي مع المصلين ويقرأ القرآن؛ ومع ذلك عنده نقص في التسليم.

لذلك هنا قال الشيخ: (وجب تسليمُ عِناهِ إلى الشرع)، أي: سمعنا وأطعنا، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فمتى لم يفعل دَلٌّ على خللٍ في اعتقاده، وهذا كلام سليم، لماذا؟ ما وجه الخلل في الاعتقاد عند مَنْ عنده نقصٌ في التسليم؟ أن الإنسان كلما ارتفع إيمانه بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، وارتفع إيمانه باليوم الآخر، وبوجود الجنة وبوجود النار، وأيقن أن الجنة هي جزاء الطائعين، وأن النار هي جزاء العاصين والكافرين، فهذا لن يتردد في الاستجابة لله ورسوله.

نحن لو وضعنا إعلان وقلنا: كل مسجد يُصَلَّى فيه صلاة الجماعة كل واحد يأخذ خمس دنانير كاش عند الباب؛ هل ستجدون مكان في المسجد؟! وإن وضعنا خمس دنانير فقط وليس عشرين دينار في كل فريضة، هل ستجد مكاناً في المسجد؟ ما تجد؛ لأنَّ الجزاء مرئي رأي العين، فتنهض له همم الناس، لكن لا يأتي للمسجد مع خلو الجزاء المرئي إلا مَنْ بلغ به الإيمان مرتبةً تجعله يرى الجزاء.

✍ لذلك أول صفة من صفات المتقين في أول سورة بعد الفاتحة في المصحف سورة البقرة: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، أول صفة من صفات المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْغَيْبِ، لَا يُؤْمِنُ بِالْجَزَاءِ، فَلَا تَتَحَرَّكُ نَفْسُهُ لِلْعَمَلِ.

لكن لو كُنْتَ ترى بعينِ بصرِكَ، أو بعينِ بصيرتِكَ الجزاء لما سكنت؛ لتحركت؛ رغبةً ورهبةً، لكن نقص الاستجابة، ولما يُقال للإنسان: هذا حرام، اتق الله، في نار، وما يتحرك، معناه ليس مؤمن بالنار، أو عنده نقص في عقيدته في الإيمان بالنار؛ وإلا لتحرك، اترك النار، جمرة صغيرة لو تقول له: صلِّ، أو أحرقك بالجمرة الصغيرة، يصلي أم لا يصلي؟ يصلي.

★ معناه: أنه عند عدم نهوضه للعبادة عنده نقص كبير في عقيدته وإيمانه.



يجب عليه أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء والصلاة، والزكاة إن كان له مال، والحج، وغير ذلك من الواجبات، فإذا عرف قدر الواجب قام به؛ فينبغي لذي الهمة أن يترقى إلى الفضائل، فيتشغل بحفظ القرآن وتفسيره، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمعرفة سيرته وسير أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى.

ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف مستعمل من اللغة.

والفقه أصل العلوم، والتذكير حلواؤها وأعمها نفعاً.

وقد رتب في هذه المذكورات من التصانيف ما يغني عن كل ما سبق من تصانيف القدماء وغيرها، بحمد الله ومنته، فأغنيتك عن تطلب الكتب، وجمع الهمة للتصنيف.

وما تقف همة إلا لخساستها، وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون.



بين الشيخ أن الإنسان بعدما يحقق الواجب عليه من الإيمان، ثم الفرائض، ثم بعد ذلك يترقى في الفضائل، وسبيل الترقى في الفضائل أن تطلع على سير الصالحين، وعلى رأسهم نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن قراءة سير الصالحين ترفع الهمة، وتجعل الإنسان مدفوعاً للقيام بالعمل الصالح، ثم بعد ذلك يترقى في العلوم.

ثم بيّن الشيخ أنه صنّف في كل هذه الكتب تصانيف وهو صدق، فالشيخ -  
رَحِمَهُ اللهُ- من أكثر العلماء تصنيفاً، منها عنده تفسير كبير للقرآن اسمه [زاد  
المسير] من أكبر التفاسير، وعنده تصنيف في الفقه وفي الحديث، وفي كل العلوم  
الشرعية له فيها تصنيف وتأليف -رَحِمَهُ اللهُ-.

وقد عرفتُ بالدليل أنَّ الهمةَ مولودةٌ معَ الآدمي، وإنما تقصُرُ بعضُ الهممِ في بعضِ الأوقات، فإذا حُثَّتْ سارت.

ومتى رأيتَ في نفسك عجزاً فسلِ المنعمَ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خيرٌ إلا بمعصيته، فمن الذي أقبلَ عليه فلم يرد كلَّ مراد؟ ومن الذي أعرضَ عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه؟

أوما سمعتَ قول الشاعر:

والله ما جئتكم زائراً  
ولا ثنيتُ العزمَ عن بابكم  
إلا وجدتُ الأرضَ تطوى  
إلا تعثرتُ بأذيالي



(وقد عرفتُ بالدليل أنَّ الهمةَ مولودةٌ معَ الآدمي)؛ أي: أصلُ الهمة وأصلُ الإيمان والفتنة يُولدُ بها الإنسان، كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في سورة الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ١-٨].

كل نفس فيها تقوى كامن وفجورٌ كامن، كامن أي مخفي، تُحرِّكُه، وهذا مقتضى حكمة رب العالمين؛ حتى يحصل الابتلاء والاختبار.

لذلك قال -عَزَّ وَجَلَّ- بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]،  
 أي: حرَّك هذا الصلاح الكمن فيه، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ  
 دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، أي: حرَّك الفساد الَّذِي فِيهِ.

فلا يأتي أحد ويقول: أنا والله جُبلت على الحرام، أو جُبلت وانقص عليّ  
 الشيطان، هذا كله كلام باطل، أنت الَّذِي اخترت هذا الطريق، والله -سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى- قد ألهمك فجورك وتقواك، أي: هيأ فيك قابليةً للصلاح وقابليةً للفساد،  
 لكن لم يجبرك على ذلك، ولم يدفعك إلى ذلك دفعًا، وإنما أمرك ونهاك، فمَنْ  
 أطاع الله -عَزَّ وَجَلَّ- زكى نفسه فنهضت.

﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: خالف أمر الله وانغمس في الشهوات، دساها: أي:  
 أفسدها وهبطت همته عن المعالي.

## فصلٌ تدبير اللطيف عبده الضعيف

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمّح كيف حفظك لها؟ فإنه من راعي رُوعي، ومن أهمل ترك.



هذا فصل بين فيه الشيخ ما أنعم الله به عليه، بمعنى أنه يذكر نعم الله عليه، وهذا لا بأس به إذا كان في سبيل الحث والنصيحة لا سيما للولد؛ أن الله أنعم علي بكذا وأنا صغير كنت كذا، سيذكر الآن الشيخ بعد قليل شيئاً مما أكرمه الله به في صغره؛ حثاً لهمة ولده.

وفي قوله: (وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود)؛ أي: عند حدود الله، أي: عند محارم الله، (فتلمّح كيف حفظك لها؟)، كيف مراعاتك لحدود الله لنواهيهِ وأوامره؟ (فإنه من راعي رُوعي)، من راعي حدود الله راعاه الله؛ وذلك مصداقاً لقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الشهير عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: « **احفظ الله يحفظك** »، « **احفظ الله** »؛ أي: احفظ حدود الله، وراعي حدود الله، يحفظك ويرعاك.

(فإنه من راعي رُوعي، ومن أهمل ترك)، من أهمل حدود الله وكله الله - عز وجل - إلى نفسه، ومن وكله ربه إلى نفسه هلك، لا يدري في أي أودية الدنيا يهلك، يظن أنه الفهمان، أو أنه يعيش الدنيا صحيح ومستمتع وهو موكول إلى نفسه، نسأل الله السلامة والعافية.

❖ وهنا مسألة: بعض الناس عنده شيء من الإيمان، فإذا ما انحرف عن المسار أتاه شيء من تأنيب الضمير يحثه على الرجوع، يأتيه ندم، يأتيه لوم، وهذا نعمة من الله، بعض الناس قد حُرِمَ من هذا اللوم، وهذه أعظم عقوبة، أعظم عقوبة على الإنسان أن يُحرَمَ من النازع الذاتي، أن يعصي ربه وما يشعر بشيء، ثم يقول: أنا الحمد لله، الله ما عاقبني في الدنيا، وهو عنده أشد عقوبة؛ وهو عقوبة بلادة الحس، بلادة الضمير، بلادة الحس، ما يشعر بذلك، هو مُعاقب لكن ما يدري.

بعض الناس يقولوا: كيف أين أنا كفلان مثلاً طائع لربه -عز وجل-، وما عنده أموال، وما متوفق في وظيفة مثلاً، أو ما محصل، أو عنده نقص في كذا وكذا، وأنا عاصي ومقصر في صلاتي، وما ذات الصلاح، والله فاتح لي في الدنيا، هذا مسكين، عنده معيار محبة الله الدنيا، ولا يدري المسكين أنه أعظم محروم؛ محروم من قيام الليل، محروم من مناجاة الله، محروم من التلذذ بتلاوة القرآن، محروم من الذكر، محروم من انشراح الصدر بالإيمان، محروم من لوم النفس عند عصيانها، محروم من أشياء كثيرة، لكن الحرمان الأعظم أنه لا يدري أنه محروم، هذا أعظم حرمان.

لذلك على الإنسان أن يتلمس نفسه عند حدود الله، كيف حفظك لها؟ هل تنتهك حرمة الله ولا تشعر بشيء؟ هذه علامة خطيرة، هذه علامة موت أو مرض شديد في القلب، ما تحزن إذا عصيت؟ ولا تشعر بضيق إذا قصرت؟ إذا فاتتك الصلاة ما تحزن؟! إذا فوت وردك اليومي مثلاً ما تشعر بنقص؟! إذا ما شعرت بذلك فلا بد أن تفرع أجراس التنبيه على نفسك؛ لأنك أنت الآن قد تصل إلى مرحلة نعوذ بالله منها وهي مرحلة ﴿كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وهي مرحلة الران، فيران على القلب، أي: يُغار عليه ويُلبس عليه بطبقة سميقة لا يشعر الإنسان فيها بلذة طاعة، ولا بتأنيب عن معصية، قد يشعر بلذة الأنعام عندما يأكلون ويتمتعون فقط، ويظن أنه موفوق، وهو مخذول، نسأل الله السلامة والعافية.

وإني لأذكر لك بعض أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي، وتسأل الموفق لي.

فإن أكثر الإنعام علي لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي هممة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين.



المكتب أي: الكتاب؛ مدارس الأطفال الصغار.

وأنا قرين صبيان كبار قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولا ضحكْتُ ضحكاً خارجاً، حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع، فلا أتخير حلقة مشعبذ.



(مشعبذ)؛ هو المشعوذ، الظاهر كان عندهم هؤلاء الناس الذين يسمون السحر، ويسمون الأعمال هذه كان صغير ما يذهب لهم؛ من وفور عقله وهو صغير.

بل أطلب المحدث، فيتحدث بالطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع،  
وأذهبُ إلى البيت فأكتبهُ.

ولقد وُفقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى  
الشيوخ، فأسمعني "المسندَ" وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلمُ ما يُراد مني،  
وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمتهُ إلى أن توفي رحمه الله،  
فنلتُ به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن  
الصِغر أخذُ جزءًا، وأقعدُ حُجزة من الناس إلى جانب الرِّقة فأتشأغلُ بالعلم.



في نسخة (بالسند الطويل)؛ لأنَّ المحدث هو الَّذي يروي الأحاديث،  
فيقول: (فيتحدث بالسند الطويل فأحفظُ)، هذا السند.

(دجلة)؛ نهر معروف في بغداد، وهو بغدادِي -رَحِمَهُ اللهُ-

(ويتفرجون على الجسر)، جسر دجلة الظاهر كان فيه بعض اللهو ونحو  
ذلك.

(وأنا في زمن الصِغر أخذُ جزءًا)، الجزء هو الكتاب الصغير الَّذي يكون فيه  
جمع لأحاديث معينة، جزءٌ في كذا او جزءٌ في كذا.

(وأقعد حُجزةً من الناس)؛ أي: أتحنى عن الناس لوحدي، (حُجزةً من

الناس)؛ أي: أبتعد عن الزحمة، وأبتعد عن مجمع الناس.

ثم ألهمتُ الزهدَ، فسردتُ الصوم وتشاغلته بالتقليل وألزمتُ نفسي صبرها، فاستمرت وشمرت ولازمت، وعالجت السهر، ولم أقنع بفنٍ من العلوم، بل كنتُ أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدمُ إلا وأحضره وأتخير الفضائل.

وكنتُ إذا عرض لي أمران أُقدم في أغلب الأحوال حقَّ الحقِّ.



(الحقّ) أي: حقّ الله تعالى.

فأحسن الله تدبيرى وتربيتى وأجرانى على ما هو الأصلح لى، ودفع عنى الأعداء والحساد ومن يكيدنى، وهىألى أسباب العلم، وبعث إالى الكتب من حيث لا أحتسب.



الأعداء والحساد هم سنة الله - عز وجل - فى كل نبي وكل مصلح وكل داعية وكل طالب؛ كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وينبغى على طالب العلم وعلى من وفقه الله - عز وجل - لأن يكون مصلحاً أن يهيب نفسه لذلك، وأن يوطن نفسه على ذلك، وأن يوسع صدره، وأن يجعل أعماله لله خالصة، لا يجعلها لأحد من أهل الدنيا فيها حظاً ولا نصيباً.

فأحسن الله تدبيرى وأجرانى على ما هو الأصلح لى، ودفع عنى الأعداء  
والحساد ومن يكيدنى، وهياً لى أسباب العلم، وبعث لى الكتب من حيث لا  
أحتسب، ورزقنى الفهم وسرعة الحفظ والحظ وجودة التصنيف، ولم يُعوزنى  
شيئاً من الدنيا، بل ساق لى من الرزق مقدار الكفاية وأزید، ووضع لى من القبول  
فى قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامى فى نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد  
أسلم على ىدى نحو من مائتىن من أهل الذمة، ولقد تاب فى مجالسى أكثر من مائة  
ألف، وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالفٍ مما يتعاناها الجهال.

ولقد كنتُ أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسى من العَدْوِ لئلا  
أسبق، وكنتُ أصبح وليس لى مأكُل، وأمسى وليس لى مأكُل، وما أذلى الله  
لمخلوق قط، ولكنه ساق رزقى لصيانة عرضى، ولو شرحت أحوالى لطلال  
الشرح، وها أنا، قد ترى ما آلت حالى إليه، وأنا أجمعه لك فى كلمة واحدة وهى  
قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]



وهذا طبعاً منه -رَحِمَهُ اللهُ- حثاً وإيقاداً لهمة ولده، وليس مدحاً لنفسه، أو  
زهواً فخراً؛ لأن هذه رسالة إلى ولده يريد أن يحثه بها؛ انظر كيف كان أبوك،  
وامش على خطى أبىك، ونحو ذلك، ولا حرج أن الإنسان يذكر شيئاً يتعلق بنفسه  
أو بذاته إذا كان فيه مصلحة، إذا كان فيه مصلحة لا سيما لولده؛ حتى يتشبه به.

## فصلٌ اجتهد ما دام في الوقت سعة

فانتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق  
الكاملين، ما دام في الوقت سعة، واسقِ غُصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر  
ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبتْ لذة الكسل فيها، وفاتت مراتبُ  
الفضائل، وقد كان السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- يحبون جمع كل فضيلة،  
ويكونون على فوات واحدةٍ منها.

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر  
إلى رجله ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرّتا في سبيل الله؛ وبكى آخر  
فقالوا: ما يبكيك؟ قال: عليّ يومٌ مضى ما صُمتُهُ، وعليّ ليلةٌ ذهبت ما قمتها.  
واعلم يا بني أنّ الأيام تبسُطُ ساعات، والساعات تبسُطُ أنفاسًا، وكلُّ نفسٍ  
خزانة، فاحذر أن تُذهبَ نفسٌ بغير شيء، فترى في القيامة خزانةً فارغةً فتندم.



(اعلم أنّ الأيام تبسُطُ ساعات)، الأيام أربعة وعشرين ساعة، لو تفرش

اليوم وأنت تفرش أربعة وعشرين ساعة.

(والساعاتِ تبسُطُ أنفاسًا)؛ لو تبسُطُ ساعتك فهي عبارة عن مجموعة من الأنفاس، مجموع أنفاسك يكونُ ساعاتك، ومجموع ساعاتك يكونُ يومك، ومجموع أيامك يكون عمرك، وهذه الأنفاس، هذه الدقائق، هذه الساعات هي خزائن، أنت تستطيعُ أن تملأها بما شئت.

عندك ساعة، تقدر هذه الساعة تجلس فيها في المسجد تقرأ القرآن، تقدر تجلس فيها تذكّر الله -عزَّ وجلَّ-، تقدر تذهب تزور فيها مريض تحتسب فيها الأجر، تقدر تذهب تزور فيها رحم، تقدر تذهب لتنصح، وتقدر تذهب تلعب أو تلهو أو تعصي الله فيها.

كل ما ستفعله سيُخزَن في هذا الوقت، وسيُفتح هذا الصندوق يوم القيامة؛ شيء تذكّره وشيء لا تذكّره؛ كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، والآن سويت لهذا، أنا فعلت لهذا.

لذلك على الإنسان أن يُحاسب نفسه، وأن يتوب بشكل مستمر؛ لأنّ قد تكون فعلت شيئاً ما تذكّره، النبيّ -عليه الصلّاة والسّلام- كان يتوب في اليوم الواحد سبعين مرة! وفي رواية مائة مرة، وهو رسول الله -عليه الصلّاة والسّلام-! فما بالك نحن.

فلذلك العلماء يقولون: التوبة واجب اليوم، ووظيفة اليوم أن يتوب الإنسان إلى الله، وأن يستغفره؛ لأنّه ما يدري الإنسان، قد يكون فعل فعلاً من المحرمات نساها الآن، لكن الله لا ينسأه، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقد قال رجلٌ لعامر بن عبد قيس: قف أكلمك! فقال: أمسك الشمس.



كأني أتكلم معه، قلت له: وقف الشمس، قال: حاضر، معناه: ما عندي وقت، الشمس تمشي والساعة تمشي وما عندي وقت.

وقعد قومٌ عند معروفٍ رحمه الله، فقال: أمّا تريدون أن تقوموا، فإن ملك الشمس يجرّها لا يفتّر.

وفي الحديث: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرَسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، فانظر إلى مضيّع الساعات كم يفوته من النخيل.

وقد كان السلفُ يغتزمون اللحظات، فكان كَهَمَسُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَخْتَمُ القرآن في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الصبح بوضوء العشاء.



أي: ما في نوم، يصلي من العشاء إلى الفجر.

وكانت رابعةً العدوية تحيي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت هجعةً خفيفة، ثم قامت فزعةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل.



ذهبوا وذهب تعبهم وبقي أجرهم، والمؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- لهذا الكتاب جمع فيه قصص العُباد اسمه [صفة الصفوة]، ذكر فيه قصص العُباد والصالحين ما من شأنه رفع الهمة إن شاء الله تعالى.

## فصل النظر في حقيقة الدنيا

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُوَجِدَ، رَأَى مَدَّةً طَوِيلَةً، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا بَعْدَ أَنْ يَخْرُجَ رَأَى مَدَّةً طَوِيلَةً، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّبْثَ فِي الْقُبُورِ طَوِيلٌ، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَلِمَ أَنَّهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِي اللَّبْثِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلِمَ أَنَّهُ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، فَإِذَا عَادَ إِلَى النَّظَرِ فِي مَقْدَارِ بَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا - فَرَضْنَا سِتِينَ سَنَةً مِثْلًا - فَإِنَّهُ يَمْضِي ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي النَّوْمِ، وَنَحْوًا مِنْ خَمْسِ عَشْرَةَ فِي الصَّبَا، فَإِذَا حَسِبَ الْبَاقِي، كَانَ أَكْثَرُهُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْمَكَاسِبِ، فَإِذَا خَلَّصَ مَا لِلْآخِرَةِ وَجَدَ فِيهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْغَفْلَةِ كَثِيرًا، فَبِمَاذَا تَشْتَرِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَإِنَّمَا الثَّمَنُ هَذِهِ السَّاعَاتُ؟!



أي: لا تغتر بنفسك، أي: إذا وصفت لنا من عبادة الله شيء، هذا الشيء مدخول ما تدري هل رأيت الله، ما تدري هل كنت مخلص، ما تدري هل قبل أصلاً أو ما قبل، لذلك لا يغتر الواحد، لا تغتر في نفسك، لا تقل: أنا جاوزت القنطرة، لا.

عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وهو مُبَشِّرٌ بِشَارَةً صَرِيحَةً مَبَآشِرَةً مِنَ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، عمر بن الخطاب في الجنة، ومع ذلك كان يسأل حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «هل أنا من المنافقين يا حذيفة؟»، انظر! (هل أنا من المنافقين؟!)، يلح عليه، إلى أن قال له حذيفة: «لا ولا أخبر أحداً بعدك».

فلا يغتر الواحد، لا يظن الإنسان إذا وُفق لشيءٍ من العبادات أنه ضَمِن الجنة، لا، فالجنة لا يدخلها الإنسان بعمله، وإنما بتوفيق الله؛ لذلك علينا أن نُصلح قلوبنا وأن نربطه بالله، ما تستطيع أن تدخل الجنة بعملك كما قال النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - «لن يدخل أحدُ الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمته منه».

﴿ فلذلك علينا أن نربط قلوبنا بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فنسأل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يحرمننا برحمته، وأن يوفقنا لمرضاته.

## فصلٌ لا تيأس من الخير

ولا يؤيسك يا بُني من الخير ما مضى من التفریط، فإنه قد انتبه خلقٌ كثيرٌ بعد الرُقاد الطويل، فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة شيخي أبي الحسن الدامغاني رحمه الله، قال: كنتُ في صبوتي متشاغلاً بالبطالة غير ملتفتٍ إلى العلم، فأحضرني أبي أبو عبد الله رحمه الله، وقال لي: يا بني لستُ أبقى لك أبدًا، فخذ عشرين دينارًا وافتح لك دكانَ خبازٍ وتكسب! فقلتُ له: ما هذا الكلام؟! قال: فافتح دكانَ بزّاز! فقلت: كيف تقول لي هذا وأنا ابن قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني! قال: فما أراك تطلب العلم! فقلت: اذكر لي للدرس ساعة، فذكر لي، فأقبلتُ على التشاغل بالعلم واجتهدتُ ففتح الله تعالى علي.

وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد الحلواني رحمه الله، قال: مات أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، وكنتُ موصوفًا بالبطالة، فأتيتُ أُنقاضي بعضَ سكان دارٍ قد ورثتها، فسمعتهم يقولون: جاء المدبّر - أي الربيط - فقلتُ لنفسي: يُقال عني هذا! فجئتُ إلى والدي فقلتُ: إذا أردتَ طلبِي فاطليبي من مجلس الشيخ أبي الخطاب، ولازمتهُ فما خرجتُ إلا إلى القضاء، فصرتُ قاضيًا مدة.

قلت: ورأيتُهُ أنا وهو يفتي ويناظر.



أي: لا تيأس، هؤلاء ذكر الشيخ نماذج من أناس انتبهوا من الغفلة بعد وقتٍ من الزمن، ذكر مثالين:

✽ هذا أبو محمد الحلواني، وهو أحد العلماء الكبار، إلى واحد وعشرين سنة كان رايع فيها، كما القول موصوفاً بالبطالة، البطالة أي: بالعامية نحن نسميها الدشرة، حتى إنه جاء يريد يأخذ إيجار ورثة قال: جاء المُدبر، أي: المولي، وهو الَّذِي رايع فيها، فأثرت فيه هذه الكلمة، قال: يقولون عني كذا، فتاب إلى الله، والنماذج كثيرة.

✽ عبد الله بن مسلم القعني، من أكبر رواة [موطأ] الإمام مالك، كان بطالاً من البطالين، فتاب وكثير من التائبين إلى الله.

والإمام موفق الدين ابن قدامة -رَحِمَهُ اللهُ- له كتاب جمع فيه قصص التائبين اسمه [التوابون]، ذكر فيه قصص كثيرة من ما شأنه أيضًا أن يرفع الهمة للتوبة إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-. .

فألزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا،  
فقد كان السلف الصالح -رحمهم الله- لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيء من  
أمور الدنيا.



في هذا الفصل سيذكر الشيخ لولده برنامجًا -إن صحَّ التعبير- أو جدولًا  
يسير عليه، وهذا الجدول مُقتبس من السُّنَّة، فذكر الشيخ بعضًا منه، أيضًا هناك  
بعض الأذكار وبعض الأشياء ما ذكرها الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-.

وقل عند انتباهك من النوم " :الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه  
النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إنَّ الله  
بالناس لرءوفٌ رحيمٌ " .

ثم قم إلى الطهارة واركع سُنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعاً، وقل في  
طريقك " :اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك وبحِّ ممشاي هذا إليك، إني لم  
أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءً سخطك وابتغاءً مرضاتك،  
وأسألك أن تجيرني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. "



هذا الحديث رواه أحمد وابن ماجه وغيره، وفي إسناده ضعف، ضعّفه  
بعضهم وصحّحه بعضهم، لكن هناك حديث أو ذكر رواه مسلم في صحيحه؛ وهو  
الذكر المشهور حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وهو: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي  
نُورًا، وفي لساني نُورًا، واجعل في سمعي نُورًا، وفي بصري نُورًا» إلى آخره.

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، في يده الخير وهو على كل شيء قدير" عشر مرات.

ثم سبح عشراً، واحمد عشراً، وكبر عشراً.



وهذه إحدى صيغ التسبيح، والصيغة المشهورة أيضاً ثلاثة وثلاثين، ثلاثة وثلاثين، ثلاثة وثلاثين.

واقراً آية الكرسي وسلِّ اللهُ سبحانه قبول الصلاة، فإنَّ صحَّ لك فاجلس  
ذاكراً لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صلِّ واركع ما كُتِبَ لك وإن كان  
ثمان ركعات فهو حسن.

فإذا أعدت درسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلِّ الضحى ثماني  
ركعات، ثم تشاغل بمطالعةٍ أو نسخٍ إلى وقت العصر.  
ثم عدُّ إلى درسك من بعد العصر إلى وقت المغرب، وصلِّ بعد المغرب  
ركعتين بجزئين، فإذا صليت العشاء فعدُّ إلى دروسك، ثم اضطجع على شقك  
الأيمن.



قوله: (وصلِّ بعد المغرب ركعتين بجزئين)، هذا فيه أن بعد المغرب يبدأ  
قيام الليل، فقيام الليل -يا أحبة- يبدأ من بعد صلاة المغرب، فالإنسان إذا صلى  
بين المغرب والعشاء صلوات تُحسب من قيام الليل.

ثم اضطجع على شقك الأيمن فسبح ثلاثاً وثلاثين، واحمد ثلاثاً وثلاثين،  
وكبر أربعاً وثلاثين.



هذا من أذكار النوم.

وقل " اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادك."



أذكار النوم أكثر من ذلك، وقد جمعت في ذلك رسالة صغيرة، وكذلك  
أذكار الصباح والمساء جمعت فيها رسالة صغيرة.

وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى  
الوضوء، وصلِّ في ظلام الليل ما أمكن، واستفتح بركعتين خفيفتين، ثم بعدهما  
ركعتين بجزءين من القرآن، ثم تعود إلى درس العلم، فإنَّ العلم أفضل من كل  
نافلة.

## فصلُ العزلة أصلُ كل هير

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن  
جلساؤك الكُتُب، والنظر في سِير السلف، ولا تشتغل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قبله،  
وتلمَّح سِيرَ الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً      كنقص القادرين على التمامِ

واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلق كثير من العلماء لا نسب لهم  
يُذكر، ولا صورة تُستحسن، وكان عطاء بن أبي رباح أسود اللون، مستوحش  
الخلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه، فجلسوا  
يسألونه عن المناسك، فحدثهم وهو معرض عنهم بوجهه، فقال الخليفة  
لولديه " قوما ولا تنيا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين يدي هذا  
العبد الأسود."



الله أكبر! فهذا خليفة وذل هو وعياله اثنين عند هذا في مقياسهم هو عبد  
أسود، لكن رفعه الله -عزَّ وجلَّ- بالعلم، فلما قام قال: (يا بني، قوما ولا تنيا ولا  
تكاسلا في طلب العلم)، لما تذكر ذلُه بين يديه.

وكان الحسن مولى - أي مملوكًا - وابن سيرين ومكحول وخلق كثير،  
وإنما شرفوا بالعلم والتقوى.



## فصلٌ اقتنعُ تعزُّ

واجتهد يا بني في صيانة عِرْضِكَ من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها،  
واقنع تعزُّ، فقد قيل: مَنْ قنع بالخبز والبقول لم يستعبده أحد.

ومرَّ أعرابيٌّ على البصرة فقال: مَنْ سيد هذه البلدة؟ قيل له: الحسن  
البصري، قال: وبمَّ سادهم؟ قالوا: لأنه استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه.

قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما  
عند الناس يحبك الناس».



فالناس إذا لم تنازعهم في دنياهم أحبوك، وهنا رسالة للدعاة وطلبة العلم  
وَمَنْ يريدُ أَنْ يكون مصلحًا في مجتمعه لا تنازع الناس في دنياهم، لا تدخل في  
منازعات دنيوية؛ مثل الانتخابات ونحوها من الأمور التي تنازعهم على شيء من  
أمور الدنيا؛ لأنك إذا أردت أن يُقبَل ما عند من علم، وما عندك من دعوة، وما  
عندك من إصلاح، فاترك الدنيا للناس، لا تنازعهم فيها، وهذا السر في قبول دعوة  
الدعاة الموفقين.

شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - ما كان يأخذ راتبًا من أحد، وكان يأمر وينهى ولا يهمله أحد، الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ - كان عالمًا عابدًا أمارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر، كان ما يسمع بمنكر إلا وذهب إلى المسؤول عن هذا المنكر وأنكر عليه، ويدخل إلى قصر الإمارة باستمرار ينصح وينهى؛ حتى إنَّ الأمير أو أمير دمشق في وقته أنزعج منه على كثرة مجيئه له ونصحه.

فقال: هذا العالم هذا الفقيه انقلوه إلى وقف ثاني بعيد عن دمشق أزعجنا، فقالوا: يا مولانا، هذا ما عنده وقف أصلاً، أي: ليس موظف عندنا، ما نستطيع أن ننقله، كان مرابطاً في المدارس يأتيه رزقة من مزرعة له في نوى مزرعة أبيه كان يُبعث له كل فترة بشيء من هذه المزرعة ويقتات، ولم يأخذ منهم شيء، ولم ينافس أحداً على شيء، ولم يقبل منهم مالا، ولا يقبل من الملوك ولا الأمراء مالا.

هؤلاء الذين إذا نصحوا أستمع لهم، ويؤثر؛ لأنَّ الناس لما يرون أنك لا تنازعهم في دُنياهم، ولا يرونك منافساً لهم يحبونك، مثلما ذُكر عن الحسن من سيد أهل البصرة؟ قال: الحسن البصري، قال: بمَّ سادهم؟ قال: لأنه استغنى عن دُنياهم وهم احتاجوا إلى علمه.

واعلم يا بني أن أبي كان موسراً وخلف ألوفاً من المال، فلما بلغتُ دفعوا لي عشرين ديناراً ودارين، وقالوا لي: هذه التركة كلها، فأخذتُ الدنانير واشترتُ بها كتباً من كتب العلم، وبعث الدارين وأنفقتُ ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيءٌ من المال، وما ذلَّ أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ، ولا بعث رقعةً إلى أحدٍ يطلب منه شيئاً قط، وأموره تجري على السداد، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].



أمَّا العالم أو الداعي إذا كان يطلب من الناس أو يرون الناس أنه محتاج إلى دُنْيَاهُمْ ذل وهان عندهم، ولم يسمعوا إلى كلامه، بل ربما لم يزوروه.

كذلك على طالب العلم والداعية والمُصلِح أن يتنبه إلى هذه النقطة، وأن يجعل نفسه بمسافة واحدة من الجميع، وألا ينحاز لأحدٍ دون أحد، ولا ينافس الناس في أي مجال من المجالات قدر استطاعته؛ لأنه يعيش لرسالة هذه الرسالة لا تصل إلا بهذا.

فصلٌ متى صحت التقوى رأيتَ كل خير

يا بني! ومتى صحتِ التقوى رأيتَ كل خير، والمتقي لا يرئى الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظَ حدودَ الله حُفظ.

قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لابن عباسٍ - رضي الله عنهما " :  
-احفظِ الله يحفظَكَ، احفظِ الله تجدهُ أمامَكَ."

واعلم يا بني أنَّ يونس عليه السلام لما كانت ذخيرتهُ خيرًا نجا بها من الشدة، قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: ١٤٣-١٤٤].

وأنَّ فرعون لما لم تكن له ذخيرةٌ خير لم يجد في شدته مخلصًا، فقيل له: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى تجدُ تأثيرها.



وهذا طبعًا وصية عظيمة جدًا، يقول هنا الشيخ: (يا بني! ومتى صحتِ التقوى رأيتَ كل خير، والمتقي لا يرئى الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه).

الإنسان المتقي الذي يريد وجه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا يريدُ جزاءً ولا شكورًا، ومحركهُ في العمل، وفي الكلام، وفي الإمساك عن الكلام والعمل، أو عن أي شيء هو وجه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا يحركهُ إرادة إرضاء فلان أو فلان، أو مُرآة فلان أو فلان، فَمَنْ حصلَ له شيءٌ من ذلك فقد قدح في توحيدِهِ؛ لأنَّ الإنسان الموحِد فعلاً هو الَّذي يوحدُ قصدهُ فيما يأتي ويدر لوجه الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

بعض الناس من حيث لا يشعر إذا أراد أن يتكلم، أو أن يتخذ موقفاً، أو أن يفعل فعلاً؛ يقول في نفسه: ماذا سيقول عني فلان وفلان؟ أو الجماعة الفلانية والجماعة العلانية، أو فلان وعلان، ما موقفهم من كلامي، اعلم أن هذا قدح في التوحيد؛ لأنك جعلت هؤلاء البشر ندًا لله -عَزَّ وَجَلَّ- في مقاصدك، الموحِد هو الَّذي يقصد وجه الله في كل أفعاله، وكل أقواله.

✽ ينظر هذا الفعل حلال شرعاً، مأمور شرعاً، هل من المصلحة الشرعية فعله أو قوله، انتهى الكلام، رضي مَنْ رضي، وسَخِط مَنْ سَخِط، هذا هو الموحِد، أمّا إذا كان لا يتكلم إلا إذا رضي فلان، ولا يقول إلا إذا كان بوفق إرادة فلان أو علان، هذا معناه أنه ما أراد وجه الله، وإن زعم خلاف ذلك، فهذا أمر مهم.

✽ الأمر الثاني: في قول المصنف هنا: (واعلم يا بني أن يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيراً نجابها).

الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ابتلى يونس ببطن الحوت، أي: حصل طبعاً قصة يونس عليه السلام لما خرج مغاضباً، وركب السفينة وهاجت السفينة، وحصل ما حصل واختاروه هو، وخرجت القرعة عليه أن يُلقى في اليم، ألقى في اليم فالتقمه الحوت، وجلس في بطن الحوت فترة من الزمن، يونس عليه السلام كانت له ذخيرة، كانت له علاقة، كان له رصيد عند ربه.

لذلك الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قال: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفات: ١٤٣]، كان يراعي تسبيح وتهليل وذكر، ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: ١٤٤].

سَمِعَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نداءه فاستجاب له، عكسه فرعون، فرعون جبار، طاغية، مدعي للربوبية، كافر، ضال، مضل، لما جاء غرقه دعا، دعا ربه، لكن هل نفعه دعاؤه؟ لا، لماذا؟ لأنه لم يكون له سابقة، قيل له: ﴿آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

لذلك على كل واحدٍ منا أن يكون له بينه وبين الله ذخيرة وعلاقة ورصيد يدخره لربه ليس لأحدٍ فيه نصيب، وليحرص أن تكون هذه الذخيرة أي: هذا النصيب وهذه العبادات أن تكون خبيثة بينه وبين الله، ليس لأحدٍ فيها نصيب، ليكون لكل إنسان بينه وبين ربه خبيثة.

ما معنى خبيثة؟

أي: عمل صالح لا يطلعُ عليه أحدٌ من الخلق حتى أقرب الناس لك؛ لأنَّ الأعمال الظاهرة مدخولة.

✍ ما معنى مدخولة؟

ما ندري عن نيتنا فيها، ما ندري عن إخلاصنا فيها، الإنسان تنفلت منه نيتُهُ كما تنفلت حصانه منه، لذلك على الإنسان أن يكون له بينه وبين ربه -عَزَّ وَجَلَّ- خبيثة وذخر ينفعه في الدنيا عند الشدائد، وفي الآخرة عند رب العالمين.

ولك بقصة أصحاب الغار الثلاثة خير مثال، لما نزلت بهم النازلة، وأُطبق عليهم الغار، دعوا لله بأرجى أعمالهم، كل واحد ذكر أرجى عمل، ولو تلاحظون كل هذه الأعمال قد أخلصوا فيها لله ليس لأحدٍ فيها نصيب، فنسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يرزقنا وإياكم التقوى.

وقد جاء في الحديث " ما من شاب اتقى الله في شبابه إلا رفعه الله في كبره ".

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

واعلم أن أوفى الذخائر غُضُّ الطرف عن محرّم، وإمساك اللسان عن فضول كلمة، ومراعاة لحدّ، وإيثار الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على هوى النفس، وقد عرفت حديث الثلاثة الذين دخلوا إلى غارٍ فانطبقت عليهم صخرة، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان وأولاد فكنْتُ أقفُ بالحليب على أبويّ أسقيهما قبل أولادي، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرج عنا؛ فانفرج ثلث الصخرة، وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرتُ أجيراً فتسَخَّطَ أجْرهُ، فاتَّجرتُ به فجاء يوماً فقال: ألا تخاف الله وتعطيني أجرتي؟! فقلت: انظر إلى تلك البقر ورُعَاتِهَا فخذها، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك ففرج عنا؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني علقتُ بنت عم لي، فلما دنوتُ منها قالت: اتق الله ولا تُفُضَّ الخاتم إلا بحقه، فقمْتُ عنها، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرج عنا؛ فرفعت الصخرة وخرجوا ".

ورؤي سفيان الثوري -رحمة الله عليه- في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: ما كان إلا أن وُضعتُ في اللحد فإذا أنا بين يدي رب العالمين، فدخلتُ فإذا بقائلٍ يقول: سفيان؟ قلت: سفيان، قال: تذكرُ يومَ آثرتَ اللهَ على هواك؟ قلت: نعم! فأخذتني صواني النثارِ في الجنة.



العبرة -يا إخوة- بإيثار مرضي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على مرضي النفس، وهذا مصداق قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ».

ما معنى: « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ »؟ أي: طريق الجنة محفوفٌ بمكاره النفس، لا تريد النفس هذا الطريق؛ لأنَّ الطريق هذا فيه حرمان عن بعض اللذائذ المحرمة، فيه مشقة أو شيءٌ من المشقة، أنت مطالب أن تقوم من عز نومك لتصلي، وتحرم نفسك لذة الطعام والشراب لتصوم، وتنزع المال من جيبك لتعطي غيرك، كل هذه الأشياء ضد هوى النفس.

◀ لذلك طريقُ الجنة محفوفٌ بهذه المكاره، فَمَنْ داسَ هذا الطريق،

وداس هذه المكاره وصل إلى الجنة.

﴿أما طريق النار فمحفوظٌ بالشهوات، كل الشهوات، كل معاصي الله - عَزَّ وَجَلَّ - في غالبها محفوظَةٌ بالشهوات؛ الزنا فيه لذة، والنوم عن الصلاة عمدًا فيه لذة، وترك الصيام فيه لذة، وغير ذلك من الأمور التي تابعة لهوى النفس، فمن خالف هواه وأطاع مولاه سلك طريق الجنة، ومن أطاع هواه وخالف مولاه سلك طريق الناس، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

## فصلٌ سمو الهمة إلى الكمال

وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال، فإنَّ خلقًا وقفوا مع الزهد، وخلقًا تشاغلوا بالعلم، وندر أقوامٌ جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل. واعلم أني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدهم فما رأيتُ أحظى بالكمالِ من أربعة أنفس: سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل.



هؤلاء العلماء كثير، والأئمة كثير بلا شك، لكن الشيخ يقول: هؤلاء الأربعة صدق -رَحِمَهُ اللهُ-، هؤلاء الأربعة علامة فارقة بين العلماء، فإنهم جمعوا بين كمال العلم البشري، وكمال العمل الزهد وكمال القيام بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجمعوا رؤوس الفضائل.

وقد كانوا رجالاً وإنما كانت لهم هممٌ ضعفت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثيرٌ لهم هممٌ عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب "صفة الصفوة"، وإن شئت تأمل "أخبار سعيد" و"الحسن" و"سفيان" و"أحمد" -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهم كتاباً.



أمّا كتابه [مناقب أحمد] فهو مشهور مطبوع، وعنده كتاب مناقب الحسن البصري أيضاً مطبوع، ولا أعرف أنه طُبِعَ [مناقب سعيد أو مناقب سفيان]، لا أدري، لكن المطبوع [مناقب الإمام أحمد] مجلد ضخّم لابن الجوزي، وعنده مناقب الحسن البصري، أمّا سعيد وسفيان فلا أدري هل طُبِعَ منها شيء أم لا.

## فصلُ الحفظُ رأسُ المالِ والتصرفُ ربحُ

وقد علمتَ يا بني أني قد صنفتُ مائةً كتاب، فمنها " التفسير الكبير " عشرون مجلدًا، و " التاريخ " عشرون مجلدًا، و " تهذيب المسند " عشرون مجلدًا، وباقي الكتب بين كبارٍ وصغارٍ يكون خمسة مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر؛ كفيئتكَ بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف. فعليك بالحفظ، وإنما الحفظُ رأسُ المال، والتصرفُ ربح، واصدُق في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراع حدوده، قال الله تعالى ﴿: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠].



في قوله هنا: (فصل: وقد علمتَ يا بني أني قد صنفتُ مائةً كتاب)، هذا الكلام لعله في هذه الرسالة ألفها قبل أن يؤلف كثيرًا من كتبه، وإلا فهو له أكثر من مائة كتاب، فشيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- ذكر له أن له أكثر من ألف كتاب، والإمام الذهبي يقول في [سير أعلام النبلاء]: (وما علمتُ أحدًا من صنّف مثلما صنّف هذا الرجل)، أي: ابن الجوزي.

له كتب كثيرة جدًا في كل العلوم، و[التفسير الكبير] هو [زاد المسير]، وهو مطبوع مشهور ومن التفاسير القيمة، ويمتاز بذكر أقوال المفسرين على كل آية.

كتاب [التاريخ] أيضًا معروف وهو كتاب [المُنتظَم في تاريخ الملوك والأُمم]، وهو مشهور ومطبوع، وغيرها كثير من الكتب.

فصلٌ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْعَمَلِ مُنِعَ الْبَرَكَةَ

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به، فإنَّ الداخلين على الأمراء  
والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمُنِعُوا الْبَرَكَةَ وَالنَّفْعَ بِهِ



فصلٌ على قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السَّماعون

وإياك أن تتشاغل بالتعبُد من غير علم، فإنَّ خلقًا من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم.

واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يُشهرانك بين أهل الدنيا برفعتيهما، ولا بين المتزهدين بضعتيهما، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنك مسؤولٌ عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون، ومتى لم يعمل الواعظُ بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما يزلُّ الماء عن الحجر؛ فلا تعظنَّ إلا بنية، ولا تمشينَّ إلا بنية، ولا تأكلنَّ لقمةً إلا بنية، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشفُ لك الأمر.



(وإياك أن تتشاغل بالتعبُد من غير علم)، وهذا ما ضلَّ مَنْ ضلَّ من الناس أي: من المبتدعة إلا بذلك؛ أنهم تعبدوا عندهم نية صالحة لكنها لم تنضبط بالعلم، ولا يقبل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عملاً إلا إذا جمع شرطي صحَّت العبادة:

١- الإخلاص.

٢- والمتابعة.

(واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يُشهرانك بين أهل الدنيا برفعتهما، ولا بين المتزهدين بضعتهما)؛ لأنَّ ثوب الشهرة جاء فيه النهي عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولا يقتصر ثوب الشهرة على الثوب النفيس لا، حتى ثوب المتزهدين ثوب شهرة.

لذلك بعض أهل الدين من المتصوفة الذين ذكرهم الشيخ وغيرهم يتميزون عن الخلق بلباس خاص؛ يدل على أنهم أهل دين أو كذا، وهذا لا أعرف فيه أصلاً شرعياً، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يلبس كما يلبس قومه؛ حتى إنَّ الأعرابي الذي جاء إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- دخل المسجد قال صاح فيهم: أيكم ابن عبد المطلب؟!

هذا ماذا يدل عليه؟ يدل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يتميز عن أصحابه بمجلس، ولا يتميز عنهم بلباس، لو تميَّز عنهم بشيء لتوجه إليه هذا الأعرابي، لكن بما أنه صاح: أيكم ابن عبد المطلب؟! دل على أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان حاله حال ربه، حاله حال أصحابه.

فلذلك لا أصل لتمييز أهل الدين بلباس معين، بل السنة أن يلبس كما يلبس قومه، وألا يرتدي لباس شهرة، أيًا كان هذا اللباس، لباس الشهرة ما يقتصر فقط على اللباس الفاخر؛ حتى لباس التزهَّد قد يكون لباس شهرة.

فصلٌ عليك بقراءة هذه الكتب

وعليك بكتاب "منهاج المريدين" فإنه يُعلمك السلوك فاجعله جليساك  
ومعلمك وتلمح كتاب صيد الخاطر فإنك تقع بواقعات تُصلح لك أمر دينك  
ودنياك



كتاب [منهاج المريدين] هو كتاب للمؤلف نفسه، هو [منهاج المريدين في  
اختصار إحياء علوم الدين] لأبي حامد الغزالي، وهذا الكتاب طُبع مؤخرا ما كان  
مطبوع قديما، وهو قد أُختصر في كتاب مشهور الذي نسمع به وهو [منهاج  
القاصدين] لأحمد بن قدامة، أحمد بن قدامة غير الموفق ابن قدامة صاحب  
[المغني] واحد ثاني، من آل قدامة ولكن ليس هو صاحب [المغني]، هو اختصار  
لهذا الكتاب.

[منهاج القاصدين] اختصار لـ [منهاج المريدين]، و [منهاج المريدين] هو  
اختصار لـ [إحياء علوم الدين] للغزالي، وهو كتاب طبعاً معروف في الزهد  
والوعظ ونحو ذلك.

لذلك قال: (فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليساك ومعلمك، وتلمح  
كتاب "صيد الخاطر")، وهذا مشهور للمؤلف أيضا، [صيد الخاطر] للمؤلف  
وهو كتاب صنّفه ابن الجوزي -رَحِمَهُ اللهُ- على غير نسقٍ معين، ولكن ذكر فيه  
بعض المواعظ المتفرقة والمعاني الجميلة حريٌّ بطالب العلم أن يستفيد منه.

وتحفظ كتاب "جنة النظر" فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه، ومتى تشاغلَت بكتاب "الحدائق" أطلعَكَ على جمهور الحديث، وإذا التفتَ إلى كتاب "الكشف" أبان لك مستورَ ما في الصحيحين من الحديث، ولا تتشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفتها الأعاجم، وما ترك "المغني" و "زاد المسير" حاجةً في شيءٍ من التفسير، وما جمعتهُ لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادةً أصلاً.



قال: (وتحفظ كتاب "جنة النظر")، هذا الكتاب لم يصلنا، هو كتاب في الفقه لابن الجوزي، (فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه، ومتى تشاغلَت بكتاب "الحدائق")، هذا الكتاب كتاب [الحدائق] كتاب في الحديث، كتابٌ في الحديث، ولا أدري هل طُبِعَ أم لا، ولذلك قال: (أطلعَكَ على جمهور الحديث).

(وإذا التفتَ إلى كتاب "الكشف")، هذا مشهور مطبوع اسمه [كشف المُشكِل]، كتاب [كشف المُشكِل لغريب الصحيحين] مطبوع في أربع مجلدات، هو شرح مختصر للصحيحين، أي: فكَّ عبارات وشرح للكلمات الغريبة فقط.

(ولا تتشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفتها الأعاجم، وما ترك "المغني" و "زاد المسير")، كتابان للمؤلف في التفسير، [المغني] لا أعرفه قد يكون مفقوداً، لكن [زاد المسير] مشهور معروف جمع كثيراً من أقوال المفسرين.

## فصلٌ حُسن المداراة

وكن حَسَنَ المداراة للخلق، مع شدة الاعتزال عنهم، فَإِنَّ العزلة راحةٌ من خُلطاء السوء، ومُبْقِيَةٌ للوقار، فَإِنَّ الواعظَ خاصةً ينبغي له أن لا يُرى مُتَبَدِّلاً، ولا ماشياً في السوق ولا ضاحكاً، لِيَحْسُنَ الظنُّ به، فَيُتَنَفَّعَ بوعظه.

فإذا اضطرتَّ إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحلم عنهم، فإنك إن كشفتَ عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم.



في قوله هنا: (وكن حَسَنَ المداراة للخلق، مع شدة الاعتزال عنهم، فَإِنَّ العزلة راحةٌ من خُلطاء السوء، ومُبْقِيَةٌ للوقار، فَإِنَّ الواعظَ خاصةً ينبغي له أن لا يُرى مُتَبَدِّلاً، ولا ماشياً في السوق).

هذا الكلام فيه نظر، وذلك أَنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وهم سادةُ الوعاظ ولم ينهأهم رب العالمين -عَزَّ وَجَلَّ- عن ذلك، بل قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «المؤمنُ الذي يخالطُ الناسَ وَيَصْبِرُ على أذاهم، خيرٌ من المؤمنِ الذي لا يخالطُ الناسَ ولا يصبرُ على أذاهم».

ولكن الَّذِي يُنْهَى عنه منازعةُ الناس في الدنيا، هذا الَّذِي يُنْهَى عنه أن تنازعهم، وأن تدخل معهم في نزاعات دنيوية، ومنافسات ونحو ذلك، هذا الَّذِي ينبغي أن يصونَ الواعظُ أو الداعيةُ أو طالب العلم نفسه عنه؛ حتى يقبل الناس كلامه.

أمّا تعامله مع الناس وزيارته للناس، ومشيه في الأسواق، هذا كله من صنيع الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولا يضر ذلك شيئاً، بل بالعكس هذه يكسبه محبة عند الناس، ويكسبه معرفة بواقع الناس، ويكسبه طريقة لإصلاح واقع الناس، كيف ستصلح واقع الناس مع العزلة؟ ومع عدم معرفة الواقع؟ كيف تُصلح؟ فهذا الكلام يمكن الشيخ له وجهة نظر في ذلك، لكن الصواب في خلافه.

فصلٌ أدّ إلى كلِّ ذي حقِّ حقه

وأدّ إلى كلِّ ذي حقِّ حقه من زوجة وولدٍ وقرابة، وانظر كلَّ ساعةٍ من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تُودعها إلا أشرف ما يُمكن ولا تُهمل نفسك، وعودها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوقِ القبر ما يسرُّك يوم الوصول إليه كما قيل:

يا منْ بدنياهُ اشتغلَّ وعرَّه طولُ الأملِ

الموتُ يأتي بغتةً والقبرُ صندوقُ العملِ

وراع عواقب الأمور يهن عليك الصبر عن كل ما تشتهي وما تكره، وإن وجدت من نفسك غفلةً فاحملها إلى المقابر وذكرها قرب الرحيل، ودبر أمرك والله المدبر في إنفاقك من غير تبذير؛ لئلا تحتاج إلى الناس فإن حفظ المال من الدين، ولأن تخلف لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس.



(وأدّ إلى كلِّ ذي حقِّ حقه)، وهذه وصية مهمة، الإنسان قد يشتغل بالعبادة

والدعوة إلى الله والنصيحة وطلب العلم، ويُهمل الحقوق الواجبة عليه، يهمل حق والديه، حق أولاده، حق زوجته، حق من عليه حق، وهذه إهمال وتقصير.

النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال كما في حديث سلمان المشهور - رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ - أنه قال: «إِنَّ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ

عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْرِكَ» أي: ضيوفك «عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ».

فالتوازن في المسلم مطالبٌ بأن يتوازن، فعدم التوازن في الحياة لا يجعل الإنسان مستقرًا فيها، فالتوجه، بعض الناس أنه ينقطع في طلب العلم أو العبادة أو الدعوة إلى الله، وأن انقطاعه عن أهله، أو عن حقوق أهله أن هذا فيه زهد في الدنيا، لا، لا، هذا ضياع للحقوق.

فرقٌ بين الزهد في الدنيا وبين تضييع الحقوق، أنت مسؤول أمام الله عن حقوق والديك، وعن حقوق أسرتك، وعن حقوق مَنْ لَهُ حَقُّ عَلَيْكَ، فإذا أدّيتها بعد ذلك اتجه إلى ما سواها.

ثم ذكر الشيخ هنا قضية تدبير الإنفاق، وأن يكون الإنسان محافظًا على ماله؛ لئلا يحتاج إلى الناس، (فإنَّ حفظَ المالِ مِنَ الدينِ، ولأنَّ تُخَلَّفَ لورثتِكَ خيرٌ مِنْ أَنْ تحتاجَ إلى الناسِ)؛ إشارة لحديث النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الَّذِي قَالَ لِسَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَمَّا حَانَتِ الوفاةُ، طبعًا حانت الوفاة لكنه لم يتوفَّ وعاش زمنًا بعد ذلك.

لما قال: يا رسول الله، إنَّ لي مالًا ولا يرثني إلا ابنةٌ لي، أفأتصدق بكلِّ مالي؟! قال: «لا»، قال: نصفه؟ قال: «لا»، قال: ثلثه، قال: «الثلث والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكفون الناس»، وهذه وصية غالية، فالإنسان لا يحوج نفسه ولا أهله لأحد من أهل الدنيا.

فصلٌ أَنَّا مِنْ أَوْلَادِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ

يَا بَنِيَّ وَاعْلَمُ أَنَّنَا مِنْ أَوْلَادِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَأَبُونَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَأَخْبَارُهُ مُوثَّقَةٌ فِي كِتَابِ "صِفَةِ الصَّفْوَةِ"، ثُمَّ تَشَاغَلَ سَلْفُنَا بِالتَّجَارَةِ وَالبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، فَمَا كَانَ مِنَ المَتَأَخِّرِينَ مَنْ رُزِقَ هِمَّةً فِي طَلَبِ العِلْمِ غَيْرِي، وَقَدْ آلَ الأَمْرُ إِلَيْكَ فَاجْتَهَدُ أَنْ لَا تُخَيِّبَ ظَنِّي فِيمَا رَجَوْتُهُ فِيكَ وَلَكَ، وَقَدْ أَسْلَمْتُكَ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يُوفِّقَكَ لِلْعِلْمِ وَالعَمَلِ. وَهَذَا قَدْرُ اجْتِهَادِي فِي وَصِيَّتِي.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ مَزِيدَ الحَامِدِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



فِي هَذَا الفَصْلِ ذَكَرَ المَوْئِلَفُ - رَحِمَهُ اللهُ- وَلَدَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَحْفَادِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فَابْنُ الجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ- صِدِّيقِي النِّسْبِ، أَي: يَتَّصِلُ نِسْبُهُ بِأَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ، فَهُوَ أَبُوهُ الفَرَجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُمَادِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ النُّضْرِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-؛ هَذَا نِسْبُهُ إِلَى أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَهُوَ قَرَشِيٌّ تَيْمِيٌّ.

ذَكَرَ ولدهُ بذلك بعدما ذَكَرَهُ بالدين، بعد ما نصحه وأمره بالتقوى، ذَكَرَهُ أنه من أولاد الصحابة، وأنت ينبغي أن تَحْمِلَ هذا الدين وأنت أحرى الناس وأولى الناس به؛ لأنك من أولاد الصحابة، ومن أولاد خير الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وهو أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وما في مانع أن الإنسان يُذَكِّرُ ولدهُ بذلك؛ لأنَّ الإنسان إن لم يردعه الدين قد يردعه خوفه على أسرته مثلاً أو على عائلته.

فالإنسان أحياناً يخفُّ خوفه من الله، لكن يترك بعض المعائب خوفاً من أمور أخرى؛ مثل: الخوف على أسرته أو سمعة أسرته ونحو ذلك، فما في بأس، وهذا استعمله المؤلف هنا في آخر هذه الرسالة.

ثم ختم هذه الرسالة بدعاء قال: (وقد أسلمتكَ إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يُوفِّقَكَ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ)، وهذا مهم أن يدعو الإنسان لأولاده، فمن الدعاء المُستجاب دعاء الرجل والمرأة لولده، وعلى ولده أيضاً.

فلذلك من الخطأ أن يدعو الإنسان على أولاده، مهما زعلوه، ومهما ضايقوه، ومهما عصوه؛ إياك أن تدعو على أولادك، ادعُ الله لهم قل: الله يهديك، الله يصلحك، يوفقك الله؛ لأنك إذا دعوت عليه لا تدري لعل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يستجيبُ لدعائك.

بعض الناس يدعو على أولاده بالعمى -والعياذ بالله-، يصيبه العمى، كثير قصص سمعناها آباء وأمّهات دعوا على أولادهم واستجاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فيحذر الإنسان من ذلك.

فنسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَنْفَعَنَا وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ  
المباركة، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ صَالِحَ  
القول والعمل، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين.